في نهاية الامر ، أليس هناك من سؤال مطروح يقول ما هو سلاح المجابهة الحاسم ؟ باعتقادنا أن العنف الثوري هو السلاح الرئيسي الذي يجب الامساك به ، لان البرجوازية ليست سهلة ، ولا يمكن أن تسلم بسهولة .

ومع ذلك فإنه لكي ننتقل من وضع التردي الى المواجهة ، لا بد من أن نمسك بالاسلحة التالية :

السلاح الاول : نحن نعتقد أن ممارسة النقد الصارم ، ونشر مناخات الديمقراطية ، سلاح رئيسي يجب الامساك به ، فلا يستطيع ثوري ولا تقدمي ولا وطني صادق أن يتجاوز مرحلة من المراحل ، تجاوزا جذرياً الا اذا مارس عملية نقد جدية ، تستهدف اكتشاف ثغراته ، وتحديد وسائل المعالجة .

فالنقد كما قيل في بعض الادبيات الثورية ، هو الصابون الذي يغتسل به الجسم من أوساخه .

السلاح الثاني : هو ضرورة أن ترتقي الطبقة العاملة بدورها وموقفها الاساسي في التغيير ، هذا الدور كلما تقدم خطوة للأمام كلما تراجع دور الامبريالية ، وقواها ، وحلفائها المحليين الى الخلف . ولذا يجب أن يحتل هذا الدور موقعه الرئيسي في الصدام والمواجهة .

السلاح الثالث : هو ضرورة قيام الجبهة الوطنية التقدمية على الصعيد القطري ، لان كل فصيل بمفرده لا يستطيع انجاز مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية . وهذا يفرض حشد كل الطاقات الاجتماعية والوطنية خلف برنامج وطني نضالي ، فكل الشرائح والقوى الاجتماعية في المجتمع العربي لها مصلحة في الاستقلال الوطني الديمقراطي ما عدا الطبقات الرجعية البرجوازية التي ليست لها مصلحة لا في التحرر ولا في الاستقلال .

ومع أهمية الجبهة الوطنية التقدمية على الصعيد القطري ، حسب الخصائص المميزة لكل قطر ، فإن البرنامج القطري يجب أن ينطلق من رؤية شاملة على اساس البُعد القومي التقدمي السياسي والاجتماعي .

السلاح الرابع : ضرورة اقامة جبهة قومية تقدمية على الصعيد العربي ؛ جبهة فعلية ، وليست جبهة البيان السياسي . هذه الجبهة التي لم تتم صياغتها حتى الآن في المنطقة العربية . ومن حقي أن أقول ، من على هذا المنبر ، أن ما يُسمى بمؤتمر الشعب العربي ، وقوى المعارضة القومية ، لا يشكلان جبهة فعل ، إنما جبهة مظاهرة وبيان سياسي . وما تحتاجه امتنا اليوم هو جبهة فعل نضالي مبرمج ، يراكم الانجازات لتفعل فعلها في التحول النوعي .

هذه الاسلحة إذا امتلكناها ، الا تشكل المداخل والبوابات الرئيسية التي تخرج حركة التحرر الوطني العربي من ازمتها ؟!.

سمات المرحلة الراهنة

وبعد أن تم تحديد الاسلحة المطلوبة للمجابهة ، انتقل الرفيق أبو علي الى تحديد السمات التي تحكم هذه المرحلة ، وهي على الوجه التالي :

السمة الاولى : سمة تُمدد الغزوة الصهيونية ، وتزايد مخاطرها ، ليس على الشعب الفلسطيني فحسب ، وليس على الامة العربية فحسب ، بل على البشرية جمعاء ، وكل قوى التقدم والتحرر .

لقد قال شارون وزير دفاع العدو قبل اسبوع :

« ان البعد الاستراتيجي « لاسرائيل » هو باكستان وتركيا » .

ولقد اكدت الحرب الاخيرة وظائف الحركة الصهيونية الثلاث : وظيفتها الفاشية على مستوى المنطقة ، ووظيفتها في دعم الرجعية على المستوى العالمي ، كما تجسد في دعم نظام جنوب افريقيا العنصري ، ونظام بينوشيت في تشيلي ، ونظام سوموزا المخلوع .

وأخيرا وظيفتها الرئيسية وهي دورها ضمن المخطط الامبريالية ، والذي قال عنه « هيغ » وزير الخارجية الامريكية السابق قبل استقالته : « إن مصالحنا في منطقة الشرق الاوسط متعددة ، ولنا حلفاء كثيرون ، ولكن حليفنا الاستراتيجي ، وضامن مصالحنا القومية هو « اسرائيل » » .

ألا يُعطي هذا الدور لا المتعدد للكيان الصهيوني ، الدليل على أن الصراع ليس صراعا حول الحدود ، انما صراع مع الخطر الشامل على مصير ومستقبل كل هذه الامة ؟ .

السمة الثانية : العلاقة العضوية بين الامبريالية الامريكية و « اسرائيل » .

لقد رُوِّجت بعض القوى الاعلامية الامبريالية ، والرجعية ديماغوجيا أنه بالامكان العزل بين الولايات المتحدة و « اسرائيل » ، وانه بالامكان تحييد اميركا .

لكن المؤكد أن الولايات المتحدة زعيمة الامبريالية العالمية ترتبط عضويا بـ « اسرائيل » التي هي جزء من مخططها وتصورها الشامل للمنطقة .

فليس الامر موضوع براعة نستطيع من خلالها ان نُحدث تناقضاً بين رايغن وبيغن ، بين هذه الادارة أو غيرها مع هذه القيادة السياسية للكيان العنصري الفاشي الصهيوني أو تلك .

بل إن الامر محكوم في مجمله بطبيعة النشأة والجوهر لهذا الكيان وارتباطها بالرأسمالية العالمية ، وفي المقدمة منها الولايات المتحدة الامريكية .

السمة الثالثة : هي الانتقال الكامل لقوى عربية الى معسكر المعاداة للمصالح الوطنية والقومية ، حيث نشأ ظرف جديد على اساسه استطاعت الغزوة الصهيونية أن تتمدد من جديد . والمثال على ذلك خروج مصر في كامب ديفيد من جبهة المواجهة مع « اسرائيل » . وخروج العراق بقيادة صدام حسين ، في حربه مع ايران من المواجهة مع « اسرائيل » .

هاتان الحالتان استُخدمتا اقصى استخدام لتوسيع الهجمة الصهيونية ، كما انهما تعتبران من المسائل التي طبعت هذه المرحلة بطابع سياسي صارخ .

لا مجال للتعايش مع الصهيونية

وكما كان الرابع من حزيران عام ١٩٨٢ مثار تساؤولات مشروعة على الصعيد العربي ، فهو ايضاً مثار تساؤلات مشروعة على الصعيد الفلسطيني ، ومن هذه التساؤلات :

هل نحن أمام مرحلة جديدة ، أم هي استمرار لما قبلها ؟

هل يمكن أن نعزل نتائج ما حصل عما قبله من مقدمات ؟

هل يمكن ان نعفي انفسنا من الاخطاء ؟

واجابتي على السؤال الأول ، ان حرب لبنان ليست مرحلة جديدة ، وانما هي استمرار لمرحلة تُوجت بكامب ديفيد . كامب ديفيد الذي بدأ في مصر ، يتمدد الآن ليصل الى لبنان هذا الكامب هو الذي لا زال يقرر الاتجاهات الرئيسية للسياسة الامريكية وحلفائها في المنطقة .

وقصدي من هذا الكلام أن يُنقذ الانسان العربي ، الفلسطيني تخصيصاً من عملية التضليل التي تجري في الاوساط الفلسطينية لتبرئة أول من بدأ كامب ديفيد ، لماذا ؟ لحماية نفسها كما تدعي هذه الاوساط من سكين كامب ديفيد في لبنان . ومن الذي جاء بالسكين الى لبنان ؟ ألم يكن نظام السادات ، وورثه حسني مبارك هم الذين جاءوا بسكين كامب ديفيد على رقابنا في لبنان ؟ فكيف يستجار بمن جاء بالسكين ليحمينا من السكين ؟ كيف ؟

انطلاقا من هذا ، يصبح المطلوب مراجعة جادة لكل السياسات التي اعتمدت سياسة عقلية التسوية ، فقد اتت حقائق تضاف لطبيعة العدو الصهيوني ، والكيان الصهيوني ، وقيادته السياسية لتؤكد أنه لا مجال للتعايش بيننا وبين الصهيونية وكيانها المادي ، « فإما نحن وإما هم » ونحن نخوض في هذا المجال تناقضاً تاريخياً مصيرياً .

أما الاجابة على السؤال الثاني فتتلخص في أن ما حصل لم يكن قد وقع فجأة ، بل هو محصلة سياسية ارتسمت مقدماتها منذ سنوات تزيد على العشر ، اتسم بها طابع الصراع .

فبدلاً من أن يسود برنامج المواجهة ، ساد برنامج التسوية في عموم المنطقة العربية ، وسادت القيادة الرجعية على القرار العربي ،

وهذان امران أدى بروزهما الى وضع مقدمات في خدمة العدو ، بتوسيع هجومه ، وتوسع عدوانه على مصالح الامة وحقوقها الوطنية والقومية .

واجابة على السؤال الثالث فانني أشير هنا الى أننا جزء من الاخطاء التي وقعت على صعيد السياسة التي واجهنا بها المعركة في لبنان : والتي منها

اولاً : ما يتعلق ببرنامج التسوية وسيادة منطقه في جملة العلاقات والبرامج النضالية .

ثانياً : ما يتعلق بأخذ ناصية القرار الوطني في لبنان من الحركة الوطنية اللبنانية . حيث ساهمنا في حرمان الحركة الوطنية من أن تكون قوة المواجهة الاساسية بوجه البرنامج الانعزالي المتصهين .

ثالثاً : الخطيئة التي وقعنا بها نحن في الثورة الفلسطينية ، والحركة الوطنية اللبنانية وسوريا ، وهي اننا لم نقدر حجم الهجوم الصهيوني كما وقع ، وبالتالي لم تكن الترتيبات ولا الاجراءات ولا خطط المواجهة قائمة على اساس هذا الحجم من المواجهة .

اننا نقول ما هي اخطاؤنا ، وما هي عيوبنا ، وما هي خطايانا لكننا نطالب أن يقول الجميع اخطاءهم وخطاياهم .

وفي هذا المجال بوسعنا أن نفتخر ونعتز باننا خضنا مع رفاقنا في الحركة الوطنية اللبنانية اطول حرب مواجهة مع العدو الصهيوني اعترف العدو فيها ببطولات شعبنا . ومع ذلك نقول يجب أن لا يظلم القتال ، ويجب أن نعدل ونحن نعدل ننتقد أنفسنا ، حتى نستطيع الانتقال الى معاركنا الاخرى باكثر صلابة وسلامة في جسمنا من الادران والغبار الذي يعلق بنا .

ومع ادراكنا الكامل بان الثورة الفلسطينية بكل نضالاتها على امتداد السنوات الماضية ، لم تستطع ان تحرر أرضاً فاننا نطرح سؤالاً كبيرا وهو ألم يتحقق انجازات للمصلحة الوطنية والقومية على صعيد المواجهة ؟

وجوابنا على هذا السؤال هو : نعم ، تحققت انجازات ويجب أن نحمي انفسنا ، ونحمي انجازاتنا .

كلنا يعرف أن الشعب الفلسطيني سُلب الهوية الوطنية ، وسُلب حتى الاعتبار المعنوي على أيدي الصهاينة ، وعلى أيدي الانظمة العربية .

ألا يُعتبر من انجازات الثورة الفلسطينية انها استردت الهوية الوطنية ، والكيان الشخصي الوطني ، والاعتبار المعنوي السياسي والنضالي للقضية الفلسطينية ؟

نحن لا نملك الان الارض ولا السلطة ولا المؤسسات ولكن أرضنا ومؤسساتنا وسلطتنا ، وكياننا ، وهويتنا مجسدة كلها في منظمة التحرير الفلسطينية .

فيجب أن نحميها من التبديد ومن الاحتواء .

ورداً على المقولات السياسية التي صدرت مؤخرا في الاردن ، والتي تقول : « لا يهم ان تعود الارض لمنظمة التحرير ، انما المهم أن تعود الارض عربية » ، نقول لهذه المقولات ، بصريح العبارة أن لا فصل بين القضية والشعب ، ولا فصل بين الارض واصحابها وقد علمتنا حقائق التجربة ان من فرّط بالارض مرة لن يستطيع أن يستعيدها .

ومن الانجازات التي حققتها الثورة الفلسطينية ، والتي اكدتها التجربة أن الثورة الشعبية ، حرب الشعب ، الكفاح المسلح سيبقى الطريق الصحيح والصائب للشعب الفلسطيني ، وحركة التحرر العربي ، ونحن نرفض كل المقولات التي تقول لقد سقطت نظرية المقاومة . الذي سقط هو برنامج اليمين . الذي سقط في بيروت هو العجز العربي ، ولم ولن تسقط المقاومة وقد اكدت حرب ١٩٨٢ هذه الحقيقة .

وإلا فما الذي يفسر أن تكون قوات العدو الصهيوني على قناة السويس ونهر الاردن وابواب دمشق في عشر ساعات ، في حرب ١٩٦٧ ، بينما نجد حرب ١٩٨٢ تطول ثلاثة أشهر .

لو كانت هناك ممرات حقيقية ، ونوافذ وافاق في فتح جبهة الصراع على أوسع ما يكون في المنطقة في مواجهة المهجمة « الاسرائيلية » ، ألم تكن هذه الفرصة التاريخية مدخلاً لتحطيم الكيان الصهيوني . ولو أخذنا مقارنة فيما بين حرب ١٩٦٧ وحرب ١٩٨٢ لوجدنا أنه في حرب ١٩٦٧ لم تخرج مظاهرة واحدة من اجلنا في العالم ، بينما في حرب ١٩٨٢ تغيرت الحقائق في الشارع والمؤسسات العالمية ، ففي الامم المتحدة صوتت كل دول العالم بشجب واستنكار العدوان باستثناء الولايات المتحدة الامريكية ، بينما في عام ١٩٦٧ لم تقف ضد العدوان الا بلدان المنظومة الاشتراكية ، وفي عام ١٩٦٧ كان دايان ينظر اوروبا بطلا ، في حين أن بيغن وشارون عام ١٩٨٢ كانا قتلة أو شبيهين بهتلر . وحتى داخل الكيان الصهيوني خرج مئات الالاف بالمظاهرات نتيجة الازمة التي خلقتها اطالة المواجهة . انطلقت ردود الافعال بعد الاسبوع الاول .

فالتخطيط الامريكي والصهيوني كان يقوم على انهاء الثورة الفلسطينية في ثلاثة أيام . فما الذي يفسر أن هذه الاشياء انقلبت بين عام ١٩٦٧ و ١٩٨٢ ؟ يفسرها الصمود الذي قام على بناء قاعدة جماهيرية تنظيمية مقاتلة ، مستمدا من أن حرب الشعب طويلة الامد هي الوسيلة الوحيدة لهزيمة العدو .

وهنا من الضروري أن نشير الى مسألة في غاية الاهمية ، وهي أن هذه الحرب اكدت اننا جزء من حركة التحرر الوطني العربي . من « عجرها وبجرها » من تقدمها وتأخرها . ولكننا الجزء المميز كثورة فلسطينية بحكم طابع القضية ، وشمولية تأثيراتها على عموم المنطقة .

أليس اليمين الفلسطيني بقوته امتداداً لقوة اليمين العربي ؟ الا يحتاج الى مجابهة عربية ؟

نعم يحتاج الى مجابهة عربية ، لانه لا يمكن أن يضعف اليمين أو يسقط قطرياً دون مواجهته على الصعيد القومي ، وبالمحصلة اذا عملنا حساب الخطأ والصواب في تجربتنا نستطيع القول بثقة اننا « اخطأنا بالمفرّق » و« اصبنا بالجملة » .

أصبنا أن نمسك بناصية القرار الوطني بالمجابهة ، وفي أن نجعل لنضالات شعبنا الفلسطيني فعلها الوطني والقومي والدولي ، وان نجعل من الشخصية الوطنية عبر منظمة التحرير اطارها المعنوي ، أصبنا في أننا حملنا السلاح ، وقاتلنا ، ولا زلنا نقاتل ، بينما الامكانيات العربية معطلة إمّا تواطؤاً أو عجزا .

وبالمقابل وقعنا في الخطاء وفي الخفاقات ، وهذا يحدث في كل الثورات ، ولا نتنصل من مسؤولياتنا . المهم أن نعرف كيف ننهض من هذه الانتكاسات نهوضا صحيحاً